احتلتها اسبانيا، وفي عام 1528 صارت مع إقليمها إمارة خاضعة لأبي الحسن الوطاسي، وهي التي تسميها المصادر الأوروبية مملكة بليز (*S. I. H. M. Portugal*, I, 202, 212, 218, 334, 515. *Espagne* I, 625 ; *France* I, 150, 151). إلا أن هذه المملكة المزعومة لم يبق لها ذكر عام 1564 بعد ان استولى عليها الأتراك، وتنازل عنها السعديون للإسبان حتى لا تسقط في أيدي الأتراك، ويومئذ كانت امبراطورية فيليب الثاني تجاه الإمبراطورية العثمانية، وهما معا تشكلان خطراً جسيما على الوحدة الترابية المغربية التي دأب السعديون على صيانتها بجميع الوسائل. في هذه الأثناء كانت الأساطيل البحرية تلعب دوراً حاسماً في الأحداث. وبالفعل احتل الأسطول البرتغالي سبتة وشفع ذلك باحتلال جل المواقع الحضرية الواقعة بمنطقة البوغاز وكذا المطلة على المحيط الأطلنتي، فصارت هذه الشواطىء ذات أهمية قصوى وحيوية، وأضحى احتلالها مقدمة الجهود الأجنبية لخنق المغرب. وفي هذه الظروف الحرجة، دمر الأتراك بادس عام 1154/961.62، فلم تحي بعد ذلك لأنها فقدت وظائفها الاقتصادية ولم تستطع الدوام وهي تعيش على فلاحة هزيلة، فغادرها الناس وهجرها سكانها بدون رجعة، ويستخلص من الدراسات التي أنجزها باسكون Pascon عن بادس أن القبائل الواقعة حاليا بالمنطقة إنما نزحت إليها من جهات أخرى.

كان لضياع بادس أصداء مفجعة ترددت عبرجوانب المغرب كافة ؛ كانت بادس آخر ميناء تحت السيادة المغربية على السواحل المتوسطية. مع فقدان هذا الثغر وفي ظل الاحتلال الإسباني والبرتغالي، انغلقت أبواب البحر المتوسط على المغرب، هذا البلد الذي قام بدور كبير في المبادلات بين أوربا وإفريقيا جنوب الصحراء، إذ ذاك لم يبق للسكان ما يربطهم بمدينتهم، ففضلوا الجلاء عنها والهجرة إلى جهات أخرى، فرادى وجماعات.

الولي الصالح والمدينة : لم يبرح أبو يعقوب البادسي مدينته ـ وقد عمّر ـ إلا مرتين في حياته، الأولى حينما ذهب إلى فاس قصد الدراسة والعلم، والثانية حينما حج إلى بيت الله. من الغريب ألا تشير المصادر إلى نفوذ ولو بسيط للولي، ولم تذكر أي اتصال هامّ له مع غيره (كذلك كان الأمر بالنسبة لأبي محمد صالح واليوهانسي) فالخضر هو الذي يلعب الدور الأساس في حياته. كان لأبي يعقوب مكانة مرموقة ببادس، فقد قيل عنه إنه أتى ببعض المعجزات إذ أن بركاته كانت تنزل الأمطار عند الحاجة وتحجبها إذا زادت عن الحاجة، وكانت له رؤى تدهش العقول، إذ كان يرى الملائكة ويتحدث إلى الخضر ويكلم الأرواح التي مات أصحابها أو يراها متقمصة في شكل عصافير، وكان يتوفر على العديد من النقود الغريبة العجيبة.

يوجد كثير من هذه الأمور في مسرد الكرامات التي تحققت من قبله. عاش أبو يعقوب في رباط مع «الفقراء»، ولم يحد عن أخذ آجر ما كان يقوم به من أعمال عند الطلب، لكنه أمسى يهب الأجور إلى المعتكفين برباطه لسد حاجياتهم الغذائية وغيرها. ومما يثير الانتباه أن لفظ زاوية لم يستعمل للتعبير عن رباطه، كما أن أبا يعقوب، خلافا لما هو معروف عن أبي محمد صالح، لم يشترط على مرافقيه من الفقراء التمسك بمنهج خاص، مثل المناهج التي تتبعها الطرق الدينية، فلا ورد عنده ولا أحزابا.

كان للقوم تصور عن أبي يعقوب أساسه ما تحلى به من التجرد عن التعلق بالحياة الدنيا ولكنه في الواقع لم يكن ليحبّذ حياة الفقر والبؤس كما فعل شقيقه الذي تنازل عن نصيبه في الإرث مفضلا جوار قبر الرسول بالمدينة المنورة، كان له دوراجتماعي في حياة بادس ؛ فزيادة على ما روى عن كراماته، فإنه كان يدعو للبحارة المحليين بالأمن والسلامة من القراصنة المسيحيين، ويتوسط لحل الخلافات بين الأفراد والقبائل، ويؤتمن على الأموال في حالة الحروب الداخلية إلى أن يعود الهدوء إلى نصابه.

ولئن كان نشاط الولي واضحا اجتماعيا، فإن المواد التعليمية التي كان يلقنها لطلبته لم تخل من صعوبة وغموض، خصوصا تلك التي تتعلق بالروحانيات. كان الفقهاء يحيطون به في رباطه الواقع خارج الأسوار لكن صلاته بأسرته لم تتوقف ولم تنقطع، فمضى يدخل إلى المدينة كل يوم جمعة ليؤم الصلاة بالناس في المسجد الكبير. يبدو أن تعليمه كان يهدف أساسا إلى تلقين الطلبة اسرار المناقب والفضائل وتنشئتهم عليها. كان يحافظ على السنة، غير ميال إلى الممارسات الغالية أوالباطنية، فلم يصم الدهر ولم يحرم نفسه ولم يُفْرط في العبادة، وإنما كان على مبدإ الاعتكاف لا يكلم الناس خلال صوم رمضان، طريقته كانت مبنية على البسط لا على القبض، وإن كان قد تأثر كثيرا بما جاء في «*الإحياء*» للغزالي.

تم تحرير ترجمة أبي يعقوب قبل سنة 1348، أي قبل تاريخ وفاة الأوربي، ونستخلص من هذه الترجمة عدداً من المعلومات، أهمها ما يلي :

ـ مقتطفات عديدة من المصنّف المفقود الذي ألفه المراكشي تحت عنوان : *مناقب الأولياء* والذي تقدّم لصاحب المقصد أن رجع إليه عدة مرات.

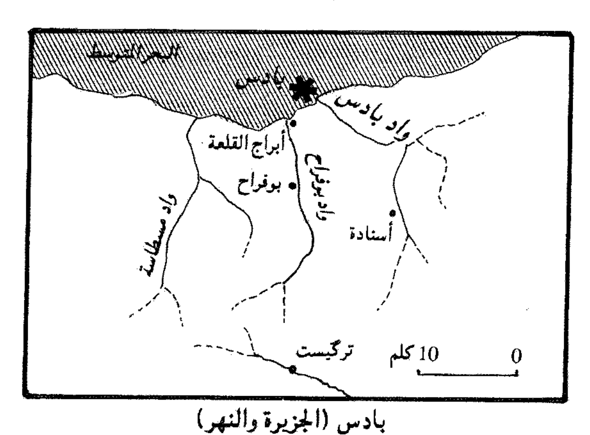
ـ انتشار الطريقة الشاذلية بشمال المغرب، وقد كان ابن عباد الرندي من أول رواد هذا المذهب بالمغرب وخاصة بفاس. والملاحظ أن أبا يعقوب كان سبّاقا لتدريس طريقة أبي الحسن، جيلا من قبل. ويلاحظ أيضاً أن كتاب *لطائف المنن* الذي ألفه صاحب *المقصد*، لم يُشر إلى الشاذلي ولا إلى طريقته وقد أتى في بعض صفحاته بترجمة لأبي يعقوب. لكن كتاب الأوربي توسع في نفوذ هذه الطريقة وانتشارها وأتى بخبر يكتسي أهمية كبرى، إذ يشير إلى ترجمة لمولاي عبد السلام بن مشيش لم يأت ذكرها في أدب المناقب والكرامات.

أحمد البوعياشي، *حرب الريف*.

Léon l'Africain, *Description de l'Afrique* ; R. Ricard, *Extraits relatifs au Maghreb : Le Maroc Septentrional au XVe siècle*, *Hesp* 1936.

حليمة فرحات

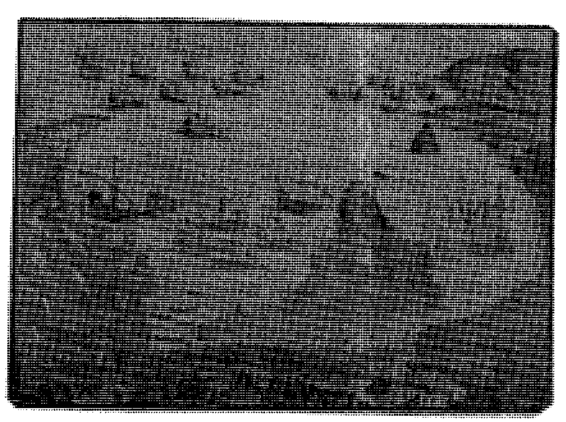
بادس، جزيرة تقع بالبحر المتوسط على بعد 65 م من شاطىء قبيلة بني يطّفت قبالة مصب النهر الذي يحمل اسم مدينة بادس الدارسة والذي يعرف كذلك بوادي تامذة.



بادس (الجزيرة والنهر)

طول الجزيرة 250 م وعرضها 100 م وعلوها 77 م وأما البرزخ الذي يربط الجزيرة باليابسة فطوله نحو 80 م وعرضه 55 م

بادس، حصن بناه الإسبان بالقرب من مدينة بادس الدارسة وأطلقوا عليه اسم فويطي ذي طييرا Fuete de Tierra (حصن اليابسة) وذلك على إثر احتلالهم جزيرة بادس يوم 24 ربيع الأول 914/ 23 يوليوز 1508. وسبب بناء هذا الحصن يرجع إلى عدم وجود الماء الشروب بالجزيرة المحتلة الشيء الذي جعل الإسبان يبحثون عنه بالأرض المجاورة وهذا ما فرض عليهم بناء حصن على أنقاض جزء من مدينة بادس وجعلوا به مدفعين وحامية تتكون من خمسين رجلا بعد أن حفروا بداخله بئراً أطلقوا عليه اسم بئر الملك Pozo del Rey.



وتقول الوثائق الإسبانية إن الحصن المذكور أصبح محاصرا من طرف القائد مولاي المنصور في اليوم التالي من بنائه، وتمكن المغاربة من استرجاعه للمرة الأولى يوم 18 رمضان 926/ فاتح سبتمبر 1520، الشيء الذي ساعد المغاربة على استرجاع جزيرة بادس يوم فاتح صفر 20/929 ديسمبر 1522.

وفي شهر ذي الحجة 931/ أكتوبر 1525 قام الأسطول الإسباني برآسة الماركيز ذي مونديخار Marques de Mondejar بمحاولة أولى من أجل احتلاله مرة أخرى، غير أنه فشل في محاولته هذه كما فشل في المحاولة التي قام بها يوم فاتح ذي الحجة 22/972 يوليوز 1563.

وفي 29 محرم 6/972 سبتمبر 1564 تمكن الأسطول الإسباني من احتلال كل من الجزيرة والحصن المذكورين للمرة الثانية، ومرة أخرى قام المغاربة بمحاصرة الحصن من يوم 30 محرم 7/972 سبتمبر 1564 إلى يوم 26 ربيع الثاني/ فاتح ديسمبر 1564. وظل حصن بادس هذه المرة بيد الإسبان أكثر من مائة وأربعين سنة تعرض خلالها إلى أحد عشر هجوما عنيفا من سنة 1565/973 إلى سنة 1677/1087، كما حوصر بعد ذلك من 25 ربيع الأول 25/1091 أبريل إلى 16 ربيع الثاني 16 ماي 1680 ومن شعبان 6/1093 غشت 1682 إلى 8 رجب 3/1094 يوليوز 1683، وأما الحصار الأخير فقد بدأ يوم 22 ذي القعدة 2/1112 ماي 1701 وانتهى باسترجاع الحصن بصفة نهائية وتحطيمه يوم 3 رمضان 1113/ فاتح فبراير 1702.

والجدير بالذكر أن بعض الوثائق الإسبانية تسمي هذا الحصن بفويرطي ذي تاميدا Fuerte de Tamida (حصن تامذة) في حين تذكره بعض المصادر المغربية باسم «البستيون» (Bastion) وهي كلمة إسبانية معناها الحصن.

بادس، مرسى تقع بشاطئ قبيلة بني يطّفت الموالي للبحر المتوسط، حيث مصب النهر الذي يحمل نفس الاسم.

وقد أطلق عليها نفس الاسم كل من البكري وصاحب كتاب *الاستبصار*، وأما الإسبان فإنهم يسمونها مرسى بيليث ذي لاگوميرا Velez de la Gomera.

بادس، نهر ينبع من جبل تُوفيسْت حيث يعرف بوادي المرغوبة ثم يمر بالقرب من قصبة أَسنادة بقبيلة بني يطّفت حيث يُسمى بوادي بادس وقبل أن تتصل مياهه بالمرسى التي تحمل اسمه يأخذ اسم وادي تامذة.

أ. البكري، *المغرب*، 102.90 ؛ مجهول، *الاستبصار*، 136 ؛ ابن الحاج، *الدر المنتخب*، 6 :355 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 2 : 31 ؛ ابن العياشي، *زهرة البستان* ؛ ع. بنعبدالله، *معلمة*، 119.81.

Pezzi Rafael, *Los presidios menores de Africa*, Madrid, 1893, p. 19-24-28-31-32-33 ; Comision historica, 102-295-298- ; A. Domenech, *Zona norte*, 38 ; Cabello Alcaraz, *Geografia de Marruecos*; 63-88-202 ; *Vademecum del Rif*, Año 1946.

البادسي، أسرة فاسية عريقة تنتسب إلى مدينة بادس المندثرة بجبال غمارة في الريف. ويقال إن أصلهم من مدشر هناك يسمى أعراص. لا يعرف تاريخ انتقال البادسيين إلى الحاضرة الإدريسية إلا أن المعروف أنهم استقروا مدة بالأندلس قبل مجيئهم إلى فاس. ولا يُعرف إن كانت لهم